THE TEACHER'S FORUM FORUM DE L'ENSEIGNANT منتدى الأستاذ
المجلد: 16 العدد: 01 السنة: جانفي 2020 الصفحات 48- 56

الحذفُ والاستبدالُ بوصفِهما آليتَي اتساقٍ نصي

–دراسةٌ لسانيةٌ في قصيدةِ أندلسية لأحمد شوقي–

Deletion and Substitution as Mechanisms of Textual Cohesion: A Linguistic Study of an Andalusian Poem by Ahmed Shawky

سامي الوافي[1]،*

[1] *كليّة الآداب واللّغات، جامعة العربي بن مهيدي (أمّ البواقي) (الجزائر)، louafi_2010@yahoo.com*

تاريخ الإرسال: 2019/08/10 تاريخ القبول: 2019/12/19

الكلمات المفتاحية:
الحذف؛
الاستبدال؛
الاتساق؛
النصية؛
اللسانيات؛

الملخص:

ركّزنَا في مقالِنا هذا على آليتي الحذفِ والاستبدالِ بوصفِهما آليتَي اتساقٍ نصي، تحدّدَتا كمعيارٍ تحليلي، اكتسبَ أهميةً كبرى في تحقيقِ الترابطِ والتماسكِ داخلَ نصِ "قصيدة أندلسية" لأحمد شوقي؛ إذ بتركيزِنا على ما يتَّصلُ بالنصِ ذاتِهِ، سيتضافرُ الاتساقُ بعلاقاته النحوية لفهمِ النص، ولن يتأتى ذلك إلاّ عبر وسائل وأدواتٍ تعملُ فيما بينها على تعلُّقِ الخطابِ بعضه ببعض، خاصةً حينَ لمحنا قُدرةَ الشاعرِ على الابتكارِ والإبداعِ وتوليدِ الأفكارِ والمعاني الجديدةِ، دون اللجوءِ إلى التّكرار، ليكونَ بذلكَ الحذفُ والاستبدالُ قد سدَّا ثغرات النصِ، بجعلهِ مُتماسكا من بدايتهِ إلى نهايتهِ.

ABSTRACT:

In this article, we focused on the mechanisms of Deletion and Substitution as mechanisms of textual cohesion, identified as an analytical standard, which gained great importance in achieving cohesion and consistency within the text of the poem "Andalusia" by Ahmed Shawki. Since focus is placed on what is related to the text itself, consistency will combine with its grammatical relationships to understand the text. This cannot be realized only through means and tools that work together to relate the discourse to one another, especially when we have seen the poet's ability to innovate and create new ideas and meanings, without resorting to repetition. In this way, deletion and substitution would have filled the gaps in the text by making it coherent from its beginning to its end.

Keywords:
Deletion ,
Substitution ,
Cohesion ,
Textuality ,
Linguistics,

* المؤلّف المرسل

مقدمة:

يعدّ الاتساقُ النصي من المعاييرِ الأساسيةِ التي من شأنها أن تُسهم في تحقيقِ نصّانيةِ النصوصِ وكفاءاتها التواصلية، –التي يتباينُ حضورها من نصٍ لآخر–، من خلالِ جملةٍ من الآلياتِ والوسائلِ، كالإحالةِ والحذفِ والاستبدالِ والفصلِ والوصلِ، والاتساق المعجمي من تكرارٍ وتضامٍ*، ليفتحَ لنا هذا المعيارُ اللساني مجالاً واسعًا لدراسةِ الشعر من خلالِ نموذجٍ تطبيقي مُختارٍ، هو قصيدةُ: "أندلسية" لأحمد شوقي (نماذجٌ مختارةٌ)، باعتبارها واحدة من أهم قصائدِهِ التي نُظمت في منفاهِ، مُتضمنةً حنينًا عميقًا، ومُستهلكةً من ناظِمها طاقةً شعريةً كبيرةً، جعلتنا كقراءٍ نلتمسُ نبرات الألم وعبارات الأمل، عبرَ مشاعرٍ مختلفةٍ تتضاربُ في صدرِهِ.

من هذا المنطلقِ عزمتُ على تقديمِ دراسةٍ ترمي إلى الوقوفِ عند الظاهرة اللغوية اللسانيةِ، بالتركيزِ على آليتي: الحذف والاستبدال، ومن هنا كان الداعي الأساسي لهذه الدراسةِ.

لذَا سعيًا منّا لفكِ بعضِ شفراتِ نونية أحمد شوقي المطولة المسماة "قصيدة أندلسية"، وفق آلياتِ التحليلِ اللساني النصي، نطرحُ سؤالاً جوهريًا، سنحاولُ الإجابةَ عنهُ، مفادهُ:

- كيفَ تحقّقت ظاهرةُ الاتساقِ النصي في قصيدةِ "أندلسية"؟
- وهل يمكننا اعتبارُ هذه القصيدة وحدةً كليةً متلاحمةً، في ضوءِ معياري الحذفِ والاستبدالِ؟

بتركيزِنا على ظاهرةِ الاتساقِ، التي تتأسّسُ على مبدأ الترابطِ النصي**، الذي تُسهمُ فيه ظواهرٌ لسانيةٌ عديدةٌ، تعملُ على ضمانِ سيرورةِ النصِ، يُشترطُ الحديثُ أولاً عنْ تلكَ الوسائلِ التي تعملُ على خلقِ الترابطِ بين الكلماتِ والجملِ والمقاطعِ المكونة للنص، فالترابطُ الحادثُ بين الوحداتِ اللسانيةِ والمتمظهرُ في بنيةِ السطحِ، ليسَ إلاّ مظهر فاعليةِ تلكَ الوحداتِ فيما بينها؛ إذ تنتظمُ على شكلِ متواليات منْ خلالِ أدواتٍ ووسائلٍ اتساقيةٍ، تعملُ على حفظِ مبدأ الاستمراريةِ والتتابعِ، ويجمعُ تلكَ الأدواتِ مصطلحُ الاعتمادِ النحوي، المتحقّقُ من خلالِ[1]:

- الاعتماد في الجملةِ.
- الاعتماد فيما بينَ الجُملِ.
- الاعتماد في الفقرةِ أو المقطوعةِ.
- الاعتماد في جُملةِ النص.

ليكُون مُنطلقُ دراستنا اللسانيةِ التطبيقية على نونية أحمد شوقي المطولة المسماة "قصيدة أندلسية"***، مُقتصرًا على آليتي "الحذفِ" و"الاستبدالِ"؛ أي بالتركيزِ على ما يتصلُ بالنصِ ذاتهِ فقط.

1– آليةُ الحذفِ:

"الحذفُ" "Elimination" ظاهرةٌ لغويةٌ عامةٌ تشتركُ فيها اللغاتُ الإنسانية، والناطقُونَ بها يميلونَ إلى حذفِ بعضِ العناصرِ المكرّرةِ في الكلامِ، أو إلى حذفِ ما قدْ يمكنُ للسامِع فهمُهُ، اعتمادًا على القرائنِ المصاحبةِ، حاليةً

كانتْ أو عقليةً أو لفظيةً، كما قدْ يعتري بعضَ العناصرِ من الكلمة الواحدةِ، فيَسقُطُ مقطعٌ منها أو أكثرَ[2]، ومنهُ فالحذفُ كظاهرةٍ عامةٍ يقومُ على إسقاطِ بعضِ الحُروفِ أو الكلماتِ وحتى الجُملِ في الكلامِ أثناءَ عمليةِ التواصُلِ، شرطَ أنْ يكونَ الإسقاطُ بِناءً على قرينةٍ لا تؤثّرُ في الوظيفةِ الإبلاغيةِ للمُتكلمِ والوظيفةِ الإفهاميةِ للمُتلقي، كونَ السياقَ فيهِ يُشكلُ أوّلَ قرينةٍ يُعتمَدُ عليها للوصولِ إلى الحذفِ والمحذُوفِ، فـ"النصُ يعمدُ في كثيرٍ من الأحيانِ إلى حذفِ عُنصرٍ من عناصِرِهِ أو تركيبٍ كاملٍ، يَدُلُّ السياقُ اللفظي السابقُ للموضوعِ الذي تمَّ فيهِ الحذفُ على طبيعةِ المحذُوفِ أو المحذوفِ ذاتهِ"[3].

الحديثُ عن الحذفِ يقتضي التسليمَ بمبدأ الأصليةِ والفرعيةِ في اللغةِ؛ أي لابدّ من وجودِ تركيبٍ أو صيغةٍ أصليةٍ اعتراها الحذفُ، بوصفهِ قاعدةً من قواعدِ التحويلِ****، والحديثُ عن اللغة العربيةِ يجعلُنا نؤكّدُ على تَفنُّنِها في أساليبِ التعبيرِ، وهي في ذلك تُراعي أحوالَ الكلامِ، فاللغةُ تُعنى بِمُطابقةِ المقالِ لمقتضى الحالِ، لذلك فهي تَميلُ أحيانًا إلى حذفِ شيءٍ منَ الكلامِ، كأنْ يكونَ المحذُوفُ جُملة أو كلمة، بأنواعِها: اسمًا / فعلاً / حرفًا، والأصلُ في المحذوفاتِ على اختلافِ ضروبِها أنْ يكونَ في الكلامِ ما يدُلُ على المحذُوفِ... ويتجلى في الحذفِ الإيجازُ والاختصارُ؛ لأنهُ "بابٌ دقيقٌ في غايةِ البلاغةِ وحُسنِ الاختيارِ، لكي يظهرَ بأسلوبٍ بلاغي رفيعٍ"[4].

الحذفُ كعلاقةِ اتساقٍ لا يختلفُ عن الاستبدالِ، إلاّ بكونِ الأولِ استبدالٌ بالصفرِ؛ أي أنَّ علاقةَ الاستبدالِ فيه تترُكُ أثرًا، وأثرُها هو وجودُ أحدِ عناصرِهِ، بينما علاقةُ الحذفِ لا تُخلّفُ أثرًا، ولهذا فإنَّ المستبدِلَ يبقى مُؤشرا يسترشِدُ بهِ القارئ، للبحثِ عن العُنصرِ المفترضِ، ممَّا يُمكّنهُ من ملئ الفراغِ الذي يُخلّفُه الاستبدالُ، بينما في الحذفِ لا يحلُّ محلَّ المحذوفِ أيّ شيء[5].

1-1- أنواعُ الحذفِ:

بناءً على التعريفاتِ السابقةِ لمفهومِ الحذفِ، نستطيعُ الوقوفَ على أنماطِ هذه الآليةِ:

- حذفُ الحرفِ.
- حذفُ الكلمةِ.
- حذفُ الجُملةِ.

وعلى أساسِ هذهِ الأنماطِ الثلاثةِ ننطَلقُ في رحلةِ البحثِ عن مواضعِ الحذفِ في القصيدةِ، وكُلُّنَا تساؤل:

- هل كانَ للحذفِ نصيبٌ في قصيدةِ أندلسية؟
- ما هي الأنماطُ التي تجلى فيها؟
- وهل ساهمَ ذلكَ في تحقيقِ اتساقها؟

نجِدُ في القصيدةِ تنويعًا في استخدامِ الحذفِ، بأنماطِه الثلاثة:

1-1-1- حذفُ الحرفِ:

مثال (01):

يـا نـائِـحَ الـطَّـلـحِ أشْبـاهٌ عَـوادِيـــنَا * نـشْــجـى لِوادِيكَ أمْ نأسَى لـوادِينـا؟

مثال (02):

ونـابِغِـي كـأنَّ الـحَشْـــرَ آخِـــــرهُ * تُـمـيـتُـنـا فـيـهِ ذِكـراكُـم وتُـحْـيـيـنـَا

مثال (03):

فإنْ يـكُ الـجِنْسُ يـابنَ الطَّلحِ فرّقَنَـا * إنَّ الـمـصـائِـبَ يـجـمـعْنَ الـمُصَـابيـنَا

مثال (04):

لـو استَـطعنَا لـخُـضنَا الـجَوَّ صاعِـقَـةً * والبِـرَّ نـارَ وغِـي، والبـحْـرَ غِـسْـلـيـنَـــا

مثّلتْ هذهِ الأمثلةُ نمطَ حذفِ الحرفِ، ففِي البيتِ الأولِ حُذفَ حرفُ النداءِ (يا) قبلَ (أشْباهٌ عوادِينَا)، ويعودُ سببُ الحذفِ إلى قُربِ المُنادَى وتخصِيصِهِ بالنسبةِ للمُنادِي، فأحمد شوقي يُنادي هنا شاعِرًا مُعينًا: (ابن عبّاد)، وطابعُ القَرابةِ حالَ دونَ الحاجةِ إلى أداةِ نداءٍ؛ لكونها تحمِلُ طابعَ الرسميةِ، كما حُذفت الهمزةُ الاستفهاميةُ من عجُزِ البيتِ، التي وضّحتْ بشكلٍ جلِي وجودَ استفهامٍ، وهذا الأخيرُ يحتاجُ لأداةِ حذفٍ، وسببُ حذفِها راجعٌ للتخفيفِ والتسهيلِ، ليكُونَ الكلامُ جاريًا مُسترسلاً، بخلافِ تحقِيقها الذي قد يجعلُ البيتَ عبارةً عنْ مقاطعٍ، تُثْقلُ على اللسانِ نُطقهُ.

أمّا البيتُ الثانِي فقد حُذِفَ فيه حرفُ الجرِّ الشبيهُ بالزائِدِ (رُبَّ) قبلَ لفظةِ (نابِغي)، وقد دلَّتْ عليهِ الحركةُ الإعرابيةُ، وحُذفَتْ (رُبَّ) لتحقِيقِ اتساقِ البيتِ ولتخفِيفِ النُطقِ، وهي في هذا الموضعِ تُفيدُ التَكثيرَ، فكم هي كثيرةٌ عددُ الليالي التي قضّاها الشاعرُ مع بقيةِ الشُعراءِ، في تذَكُّرِ أهاليهِم وأحبَّتِهم وأرضَ وطنِهم، فحينَ يغشاهمُ الليلُ ويتمَلكهُم الأرقُ يُعادُ أمَامَ أعيُنهم شريطَ حياتِهم، فتُصيبُهم سِهامُ الشَّوقِ ألفَ مرّةٍ، ليُداويهِم أملُ العودَةِ في يومٍ غير مَوعودٍ كُلَّ مرَّةٍ.

وحُذِفتْ من البيتِ الثالثِ النُونُ المجزومَةُ من مُضارعِ "كَانَ" في قولِهِ (يكُ)، فالأصلُ فيها (إنْ يكُنْ)، ولعلَّ سببَ الحذفِ هو التِقاءُ الساكِنينِ: النُونُ الساكنةُ من "يكُنْ"، والألِفُ الساكِنةُ من "الجِنس"، فحُذِفتْ لتفادِي هذا الالتقاء، ولتحقيقِ السلاسةِ في النُطقِ.

أمّا في البيتِ الرابعِ حُذِفتْ كافُ التشبيهِ (كـ) قبلَ "صاعِقَةً" "نارَ" "غِسلينَا"، فالأصْلُ فيها "لخُضْنَا الجَوّ كصاعقةٍ والبِرَّ كنَارِ وغِي والبحرَ كغِسلينا"، فهو تشبِيهٌ بليغٌ لعدمِ وجودِ وجهِ الشَّبهِ والأداةِ، ، وقد حُذفتْ "الكافُ" ليكُونَ شِبهَ اتحادٍ بينَ المُشبّه والمُشَبَّه بهِ، على اعتبارِ أنَّ ذكْرَ الأداةِ فيهِ شيءٌ منَ التَفاضُلِ، ليعمدَ الشاعِرُ لهذا النوعِ من التشبيهِ ليجعلَ منْ قُوتِهم قُوةً تُماثِلُ الهواءَ والنارَ والماءَ في حالة الغضبِ.

1-1-2- حذفُ الكلمةِ:

حُذِفَ الاسمُ في مواضعٍ كثيرةٍ مِن القصيدةِ، ومنْ ذلكَ:

مثال (01):

مَـلاعِـبٌ مَـرِحَـتْ فـيهَـا مَـآرِبُـنـــا * وأَرْبُـعٌ أَنِـسَـــتْ فِـيـهـا أمَـانْـيـنَـــا

مثال (02):

وِمِصْـرُ كالكَـرَمِ ذِي الاحْـسَانِ فَاكِـهَةٌ * لِـحـاضِـريـنَ، وأَكْـوابٌ لِبَـادِيـنَـا

مثال (03):

أَرْضُ الأُبُـوةِ والـمِـيـلادِ طَـيْـبُـهـا * مَـرَّ الـصِّـبَا فـي ذُيُـولٍ مِنْ تَـصَـابِـيـنَـا

مثال (04):

مَـاذَا تَـقُـصُّ عَـلـيـنَـا غَـيـرَ أَنَّ يـدًا * قَـصَّتْ جَنَـاحَكَ، جَالتْ فِي حَواشِينَا؟

في المثالِ (01)، (02)، (03)، حُذفَ المسندُ إليهِ، كحذفِ المُبتدأ في: هي/ مصرُ، هي/ مصرُ، هي/ مصرُ، لأخبَارِها: ملاعبٌ/ أَرْبُعٌ/ أكْوابٌ/ أرْضُ، والمُلاحظُ أنها مُترابطةٌ بِمصرَ لغَايةٍ في نفسِ الشاعرِ، فمِصرُ تَسكُنُ روحَهُ ووجدانهُ، وهي أساسُ قصيدتِه وغايَتهَا، ولمّا تَكرَّرَ لفظُها في مواضِع كثيرةٍ منَ القصيدةِ، لجَأ أحمد شوقي إلى الحذفِ، بُغيةَ إضفاءِ جمالية على النصِ، وتحقِيقِ الإيجاز، بطريقةٍ لا تُؤثِّرُ على بناءِ القصيدةِ وشكلِها، ولا على اتساقِ أبياتِها وتلاحُمِها.

أمّا في المثال (04)، حُذفَ المسندُ إليهِ (الفاعلُ)، والمفترضُ أنْ يكُونَ (الطلحُ/اليدُ/اليدُ) للأفعالِ (تَقُصُّ/ قَصَّتْ/جَالتْ) على الترتيبِ، وسببُ الحذفِ هو كونَ الفَواعِلِ معلُومة لدى القارئ، وبالتالي فحذفُها أبلغُ منْ ذِكرِها.

1-1-3- حذفُ الجُملةِ:

مثال (01):

لِـفـتـيَـةٍ لاَ تَـنـالُ الأرضُ أَدْمُـعَـهـمْ * وَلا مَـفَـارِقَـهُـم إِلاَّ مُـصَـلـيـنَـا

مثال (02):

وَنَـابِـغِـي كَـأنَّ الحَـشْـرَ آخِـرُهُ * تُـمِـيـتُـنَـا فـيـهِ ذِكـرَاكُـم وتُـحـيِـيـنَـا

مثال (03):

يَـبـدُو النَّـهـارُ فَـيُـخْـفِـه تَـجَـلُّـدُنـا * لـلـشَـامِـتِـيـنَ، ويَـأسُـوهُ تَـأسِّـيـنَا

مثال (04):

ولاَ حَـوى السَّـعـدُ أَطـغَـى فـي أعِـنَّـتِـهِ * مِـنّـا جِـيّـادٌ ولاَ أَرْحَـى مَـيـادِيـنَـا

جَسَّدتِ الأبياتُ الأربعةُ نَمطَ حَذفِ الجُملةِ، في عَجُزِ كُلّ بيتٍ منها، ففي المِثالِ الأوّلِ حُذِفتْ جُملةُ: (ولاَ تَنالُ الأرضُ)، قبلَ لفْظَةِ (مَفارِقِهِم)، وفي المِثالِ الثاني حُذِفتْ جُملةُ: (ذِكراكُم فيهِ) بعدَ (وتُحيِينا)، وفي المِثالِ الثالثِ حُذِفتْ جُملةُ: (يَبدُو النَهارُ)، وفي المِثالِ الرابعِ حُذِفتْ جُملةُ: (حَوى السَّعدُ)، ويَعُودُ حَذفُها إلى احترامِ الطولِ في القصيدةِ، واحترامِ التفعيلات فيها، فلو ذُكِرتْ هذهِ الجُملُ لاختَلَّ التوازُنُ كُليا، لِذلكَ حُذِفتْ حِفاظًا على النظامِ العمودي للقصيدةِ وعلى تَفعيلاتِها.

2- آليةُ الاستبدالِ:

"الاستبدالُ" "Substitution" مظهرٌ من مظاهِرِ التماسُكِ النَّصي، مُهمتُه تقومُ على الربطِ بينَ الوحداتِ اللغويةِ داخلَ النُصوصِ، لما لهُ من وظِيفةٍ أساسيةٍ في تحقيقِ التواصلِ النصي وصفًا وتحليلاً، فهو "تَعويضُ عُنصرٍ في النَّصِ بعُنصرٍ آخرٍ"[6]، وبذلك يكونُ شأنُهُ شأنُ الإحالةِ، إلاَّ أنّهُ يختلفُ عنها في كونهِ علاقةٌ معنويةٌ تقعُ في المستوى النحوي والمعجمي بينَ الكلماتِ والعِباراتِ، بينما الإحالةُ علاقةٌ معنويةٌ تقعُ في المستوى الدّلالي، فهو إذن "عمليةٌ داخلَ النَّص، تتحدّدُ كعلاقةٍ بينَ عُنصرٍ مُتأخِّرٍ وبينَ عُنصرٍ مُتقدّمٍ[7]*****"، ويُسمى التَعبيرُ الأولُ من التعبيرين: المستبدلُ مِنهُ (المنقُولُ)، والآخرُ الذي حلَّ محلَّهُ المستَبدَلُ بِه (الناقِلُ)، وإذا وقعَ المستبدلُ مِنهُ و المستَبدَلُ بِه في مواقِعٍ نصيةٍ مُتواليةٍ فإنَّهما يَقعانِ –حسبَ هارفج– في علاقةِ استبدالٍ نحوية بعضها ببعضٍ[8]، وبذلكَ يُسهمُ الاستبدالُ بشكلٍ كبيرٍ في إبرازِ الوظائِف الجماليةِ للنُصوصِ، وذلكَ من خلالِ تعالقِ الألفاظِ والعِباراتِ بِعلاقاتٍ نحويةٍ مُعجميّةٍ.

يعملُ الاستبدالُ على تحقِيقِ وحْدةٍ نصيةٍ مُتلاحمة الأجزاءِ، وذلك من خلالِ مبدأ التعويضِ، الذي يسمحُ بخلقِ كلمةٍ واحدةٍ مُترابِطةٍ بينَ مُختلفِ الجُملِ والعباراتِ المكوّنة في النصِ، لتحقيقِ الوحدة الُكلية فيهِ.

فهو بديلٌ هامٌ لتماسُكِ النصِ، ومن خِلالهِ يتمكَّنُ كاتِبُ النصِ مِن عرضِ أفكارِهِ دونَ تَكرارِ كلماتٍ بعينِها، ودونَ استخدامٍ مُفرطٍ للضمائرِ، الأمرُ الذي قدْ ينعكِسُ سلبًا على مقروئيةِ النصِ[9].

2–1– أنواعُ الاستبدالِ وتطبيقاتهُ: يُفرّقُ علماءُ النَّصيةِ بينَ ثلاثةِ أنواعٍ من الاستِبدالِ، وهي:

- استبدالٌ اسمِي: Substitution Nominale يتِمُّ فيهِ استخدامُ عناصرٍ لُغويَّةٍ اسميةٍ، مثلُ: آخرٌ، آخرونَ، نفسٌ...
- استبدالٌ فعلِي: Substitution Verbale ويُمثّلهُ استخدامُ الفعلِ "يَفْعَلُ"، بتعويضهِ بعناصرٍ لغويةٍ فعليةٍ.
- استبدالٌ قولِي: Substitution Clausule يُستخدمُ فيهِ لَفظةُ "ذلكَ"[10]، وبذلكَ يَتمُّ الاستبدالُ القولي بِنمطٍ يشترِكُ معهُ في الدلالةِ.

يُسهمُ كل منْ الاستبدالِ الاسمي والفعلي والقولي في ترابطِ وتلاحمِ العباراتِ داخلَ النصِ الواحدِ، ما يزيدُ منْ اتساقِ القصيدةِ، وسدِّ فجواتِ الفهمِ لدى المتلقي.

وفي قصيدة أندلسية نجدُ عديدَ الاستبدالاتِ الاسميةِ والفعليةِ والقوليةِ، على النحو الآتي:

يقول أحمد شوقي:

يَـا نَـائِـحَ الطَّـلْـحِ أشْبـاهٌ عـوادِيـنَـــا * نَـشْـجَـى لِـوادِيـكَ أَمْ نَأسَى لِـوَادِيـنـــا

المُستَبدَلُ منه — المُستبدَلُ بِهِ

استُبدلَ الفعلُ (نَشْجَى) بالفعلِ (نَأسَى)، وطبيعةُ هذا الاستبدالِ فعلي؛ لأنهُ اسْتبدَلَ فعلاً بفِعلٍ، ما أدى إلى إحداثِ ترابطٍ بين عُنصري الاستبدالِ: المستَبدلُ بِهِ (نأسَى) والمستبدلُ منهُ (نشْجَى)، وذلكَ لقُوةِ دلالتِه، التي تُبيّنُ حسرةَ الشاعِرِ وحزنِه العميقِ، الذي حَملَ عاطفةً كافيةً أوصَلت معنَى الرسالةِ.

يقول أحمد شوقي:

عَلى جَوانِبِها رفَّت تَمائِمُنَا * وحَولَ حافاتِها قَامَتْ رَوَاقِينَا

المُستَبدَلُ منه — المُستبدَلُ بِهِ

اشتملَ هذا البيتُ على استبدالٍ اسمي، تَجسَّد في (حَافاتِها) التي عوَّضتْ (جَوانِبها)، وقد زادَ هذا الاستبدالُ منْ ثراءِ القصيدةِ، مُساهمًا في تلاحُمِ معَانِيها وانسِجامِ دلالاتِها.

يقول أحمد شوقي:

أَجْشَمْتِ شَوكَ الثَرى حتى أَتَيْتِ لَنَا * بالوردِ كُتُبٌ وبالرَّيَا عَناوِينَا

يظهرُ في هذا القولِ اسْتِبدالٌ قولي، فتاءُ الفاعِلِ للمُخاطِبِ المؤنَّثِ في الفعلينِ: (أَجْشَمْتِ) و(أَتَيتِ) عوّضت جُملةَ: (يَا مُعَطرةَ الوادِي)، فالتاءُ أُستُبدِلتْ قولاً بأكْملِهِ.

الأمثِلةُ السابِقةُ أثْبَتَت تَنوعًا للاستِبدالِ في القصيدة؛ إذْ كانَ لتوظيفِها دورٌ بارزٌ في توحيدِ دلالاتِ النصِ وربطِ عناصرِه، وفي الجدولُ الآتي رصدٌ لنماذج أخرى الاستبدالِ في القصيدة:

المُستبدل بِهِ	المُستبدَلُ منهُ	نوعُ الاستبدالِ
الفراقُ	البَينُ	اسمي
المصائبُ	عوادِينَا	اسمي
تَسحبُ	تَجُرُّ	فعلي
أَنِسَتْ	مَرحَتْ	فعلي
الكاف (ك)	يا مُعطرةَ الوادي	قولي
هم	إلى الذين وَجَدْنا ودَّهُم دُنِي	قولي

الجدول رقم (01): نماذجٌ لأنواع الاستبدال في القصيدةِ

لِتُلَخّصَ العمليّةُ الاستبداليّة الواردةُ في القصيدةِ كالآتي:

أَنواعُ الاستبدالِ	اسمي	فعلي	قولي	المجموعُ
مراتُ تكرارِه	194	10	25	229
النسبةُ المئويةُ	٪ 85	٪ 4	٪ 11	٪ 100

الجدول رقم (02): نِسَبُ الاستبدال في القصيدة

تفصيلُ الجدولِ في المُنحنى البياني الآتي:

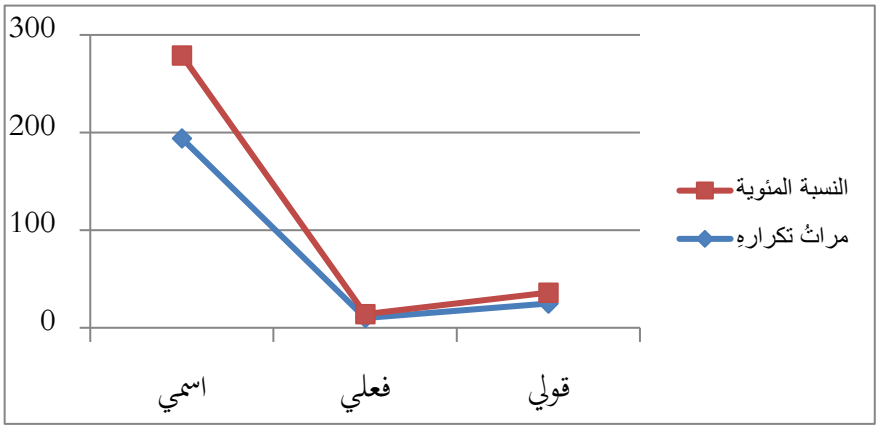

الشكل رقم (03): مُنحنى بياني لأنواع الاستبدالاتِ في القصيدة

بعدَ الدراسةِ الإحصائِيةِ للاسْتِبدالِ نجد طُغيانَ الاستبدالِ الاسمي، لورودِهِ في القصيدةِ 194 مرة، بنسبةِ 85% منَ الاستعمالاتِ الكُليةِ، والسبب في ذلكَ يعودُ إلى ما تحمِلهُ دلالةُ الاسمِ من ثُبوتٍ واستِقرارٍ، فالشاعرُ بَيّنَ ثَباتهُ على قضِيّتِهِ ورغبَتِهِ الملحّة في العودةِ إلى وطنِه، أمّا الاستبدالُ الفعلي وردَ 10 مرات، بنسبة 04% منَ الاستعمالاتِ الكُليةِ، والسببُ في ذلكَ يعودُ إلى أنَّهُ يُحيلُ على عدمِ استِقرارِ حياةِ الشاعرِ، وتذبذُبِ حالتهِ وتغَيُّرِهَا منْ حالٍ إلى حالٍ، فبعدَ أنْ كانَ شاعِرَ السُلطانِ ومُقرّبًا من البلاط، أصبحَ مَنفيا تتقاذفُهُ الأمصارُ، أمّا الاستبدالُ القولي وردَ 25 مرة، بنسبةِ 11% منَ الاستعمالاتِ الكُليةِ، والسببُ في ذلكَ يعودُ إلى وُرودِهِ كتعويضٍ عنْ جُملٍ وأقوالٍ ذُكرتْ في القصيدةِ.

الخاتمة:

لنسْتخلِصَ في ختامِ مقالنَا هذا أنّ الدراسةَ التطبيقيةَ للحذفِ والاستبدالِ بوصفِهما آليتَا اتساقٍ نصي في نونيةِ أحمد شوقي: "قصيدةٌ أندلسيةٌ"، أبانتْ على أنهُ معيارٌ ذو أهميةٍ كبرى في تحقيقِ الترابطِ والتماسكِ داخلَ النصِ، لارتكازِهِ على البنيةِ الداخلية لها في أغلبِ آلياتِه، خاصةً حينَ نلمحُ قُدرةَ الشاعرِ على الابتكارِ والإبداعِ وتوليدِ الأفكارِ والمعاني الجديدةِ، دون اللجوءِ إلى التَكرار، ليكونَ الحذفُ بوصفه عنصرَ اتساقٍ قد وردَ في النص على مستويينِ: مُعجمي ونحوي، اهتدى فيها المتلقي إلى عناصرٍ غير ظاهرة، قدّرها اعتمادا على قرائنٍ مقالية ومقامية، والاستبدالُ بوصفهِ عنصرَ اتساقٍ قد عملَ على تحقِيقِ وحدَةٍ نصيةٍ مُتلاحمة الأجزاءِ، وذلك من خلالِ مبدأ التعويضِ، الذي يسمحُ بخلقِ كلمةٍ واحدةٍ مُترابِطةٍ بينَ مُختلفِ الجُملِ والعباراتِ المُكوّنة في النصِ، ليُساهما بذلك في تحقيقِ الوحدة الُكلية فيهِ، أولا بسدِّ ثغراته، وثانيا بجعلهِ مُتماسكا من بدايتهِ إلى نهايتهِ.

المصادر والمراجع:

1/ شوقي، أحمد (1988)، الشوقيات: الأعمال الكاملة، دار العودة، ط1، مج1، بيروت.

2/ عفيفي، أحمد (1996)، نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ط1، مصر.

3/ مصلوح، سعد (1991)، نحو آجرومية النص الشعري: دراسة في قصيدة جاهلية، مجلة فصول، القاهرة، مج 10، ع 01.

4/ بحيري، سعيد حسن (1997)، علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، ط1، مصر.

5/ حمودة، طاهر سليمان (1998)، ظاهرةُ الحذف في الدرسِ اللغوي، الدار الجامعية، ط1، مصر.

6/ أبو خرمة، عمر محمد (2004)، نحو النص: نقدُ نظريةٍ وبناءُ أخرى، عالم الكتب الحديث، ط1، إربد، الأردن.

7/ الصبيحي، محمد الأخضر (2010): مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، بيروت، لبنان.

8/ خطابي، محمد (1991)، لسانيات النص: مدخلٌ إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، لبنان، الدار البيضاء، المغرب.

9/ النجار، نادية رمضان (2016)، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: الخطابة النبوية نموذجا، مجلة علوم اللغة، كلية الآداب، جامعة حلوان، مصر، مج09، ع02.

10/ بوقرة، نعمان (2015): المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، جدار للكتاب العالمي، ط1، عمان، الأردن.

11/ محمد، يونس حمش خلف (2010)، الحذفُ في اللغةِ العربية، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، مج 10، ع 02.

الهوامش والإحالات:

* من خلال معايير النصيّةِ السبعة: (الاتساقُ / الانسجامُ / المقصديةُ / المقبوليةُ / الإعلاميةُ / التناصُ / المقاميةُ) تَتحقّقُ نَصيةُ النُصوصِ وكفاءاتها التواصُلية، التي يتباينُ حضُورها من نصٍ لآخر، وعلى أساسِها تتحدّدُ قيمةُ النصوصِ ومقبوليتِها.

** فرّقَ الدكتور سعيد حسن بحيري –في معرضِ حديثهِ عن ظاهرةِ الاتساقِ– بينَ الترابُطِ النصي الذي هو مُعادلٌ للاتساقِ، وبينَ التماسكِ النصي الذي هو مُعادلٌ للانسجامِ. يُنظر: علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، مصر، ط1، 1997، ص 102.

[1] سعد مصلوح: "نحو آجرومية النص الشعري: دراسة في قصيدة جاهلية، مجلة فصول، القاهرة، مج 10، ع 01، أغسطس 1991، ص 15.

*** أحمد شوقي: الشوقيات: الأعمال الكاملة، دار العودة، بيروت، ط1، 1988، مج1، ص ص 104-108.

[2] طاهر سليمان حمودة: ظاهرةُ الحذف في الدرسِ اللغوي، الدار الجامعية، مصر، ط1، 1998، ص 04.

[3] عمر محمد أبو خرمة: نحو النص: نقدُ نظريةٍ وبناءُ أخرى، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2004، ص 167.

**** قواعدُ التحويلِ تقومُ على استخلاصِ بنياتٍ سطحيةٍ مُتمثلة في جملٍ ونصوصٍ، وقعَ فيها حذفُ عنصرٍ من العناصر، وبالاعتمادِ عليها نستطيعُ الوصولَ للقواعدِ النموذجية أو ما يُطلقُ عليها بالبنية السطحية.

[4] يونس حمش خلف محمد: الحذفُ في اللغةِ العربية، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، مج 10، ع 02، 2010، ص 280.

[5] محمد خطابي: لسانيات النص: مدخلٌ إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الدار البيضاء، المغرب، 1991، ط1، ص21.

[6] نعمان بوقرة: المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، جدار للكتاب العالمي، عمان، الأردن، ط1، 2015، ص89.

[7] محمد خطابي: لسانيات النص: مدخلٌ إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، ص19.

***** مُعظمُ حالات الاستبدالِ النَّصي قَبليةٌ.

[8] نادية رمضان النجار: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: الخطابة النبوية نموذجا، مجلة علوم اللغة، كلية الآداب، جامعة حلوان، مصر، مج09، ع02، 2016، ص314.

[9] محمد الأخضر الصبيحي: مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص92.

[10] أحمد عفيفي: نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، مصر، ط1، 1996، ص124.